طريق الهجرة النبوية

أ. د. عبد العزيز كامل(*)

الهجرة كانت "عربية" ، لم يترك فيها النبى ﷺ الجزيرة إلى بيئة أخرى خارجها ، كما فعل أصحابه عندما أذن لهم فى الهجرة إلى الحبشة ، وكانت مكة واحة لها مقوماتها الطبيعية والبشرية التى أهلتها وقتئذ لزعامة العرب – وفيها نشأ الإسلام – ولكنها لم تكن الموطن الذى تقبل الإسلام فى سماحة ويسر مما دعا النبى وأصحابه إلى الهجرة منها ، وبهذا يكون أول أقسام البحث : عرض البيئة الطبيعية والبشرية لمكة عند ظهور الإسلام .

وكانت الهجرة إلى المدينة . ومع وقوع كل من مكة والمدينة على محور الواحات الممتد من اليمن إلى الشام ، إلا أن هناك فروقا واسعة – طبيعية وبشرية – بين مكة والمدينة ، تقتضى دراسة مقارنة بين البيئتين.

وبعد الوصف المقارن لبدء طريق الهجرة من مكة ، ونهايته فى المدينة، يمكن أن نصف الملامح الجغرافية للمنطقة بينهما والطريق الذى سلكه الرسول فى هجرته .

أى أن الموضوع سيكون إجابته عن ثلاثة أسئلة : من أين ؟ وإلى أين ؟ وكيف ؟

١-مكة

الملامح الطبيعية :

تقع مكة فى واد ضيق عميق يبعد نحو ستين كيلو مترا عن شاطئ البحر الأحمر ، وينحدر الوادى من الشمال إلى الجنوب ، وفى أعلاه انحراف نحو الشرق ، وترتفع الجبال على جانبى الوادى وتحيط به بحيث تحدد مداخله تحديدا دقيقا .

(*) ألقى المرحوم د. عبد العزيز كامل هذا البحث فى الموسم الثقافى لجامعة الأزهر عام ١٩٦٣ ، وكان حينئذ مدرسًا بمعهد الدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة .

ويبلغ ارتفاع بطن وادى مكة نحو ٣٦٠ مترا فوق مستوى سطح البحر وإلى شرقه يرتفع جبل قعيقعان وإلى الغرب جبل أبى قبيس ويطلق عليهما الأخشبان[١] . وكان أبو قبيس يسمى فى الجاهلية الأمين[٢] . ولا ينمو على الأخشبين من النبت إلا القليل . وسفوحهما جرداء تتناثر فيهما وديان تتباين عمقا واتساعا. وعند حضيض أبى قبيس ترتفع ربوة صغيرة هى الصفا تقابلها فى الجنوب الشرقى ربوة أخرى هى المروة ، وفيها نزل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ ﴾ [٣] . وفى منتصف الطريق بينهما تهبط الأرض فى بطن الوادى .

وإلى جنوب جبل قعيقعان وغرب أبى قبيس يرتفع جبل عمر . وكان اسمه العاقر فى الجاهلية[٤] ، ويطلق على الجزء الشمالى من قعيقعان "جبل الهندى" لسكنى الهنود فيه .

هذه هى الجبال الرئيسية المشرفة على مكة أهمها أبو قبيس وقعيقعان ويليهما جبل عمر ، وإذا رجعنا إلى الأزرقى وجدناه يذكر أسماء كثيرة لجبال أخرى أقل أهمية ، بعضها أجزاء من هذه الكتل الرئيسية ، أو امتدادات لها[٥] .

وأدى هذا التوزيع إلى تحديد مداخل مكة الرئيسية الثلاثة :

أ-المدخل الغربى : بين جبلى قعيقعان وعمر وهو الموصل إلى جدة .

ب-المدخل الجنوبى : فى مسفلة مكة ويسمى طريق اليمن .

ج-المدخل الشمالى : من المعلاة ويوصل إلى منى وعرفات والطائف .

وتؤدى هذه المداخل – أو الطرق – الثلاثة إلى بطن مكة ، وبينها اتصالات حول جبل قعيقعان : فهناك طريق يتفرع من الطريق الغربى ، ويتجه شمالا مارا بالحجون إلى وادى فاطمة إلى مر الظهران ، حيث يلتقى بطريق آخر يتفرع من الطريق الشمالى . ويتصل طريق الحجون بطريق الشمال فى معلاة مكة بطريق كدا شمال جبل الهندى[٦] .

وأشهر موارد المياه فى مكة بئر زمزم فى الحرم ، وقد أحصى الجغرافيون العرب موارد مياه المنطقة فى الجاهلية وعند ظهور الإسلام ، وما طرأ عليها من تطور. وبه استطاع السكان استغلال الماء الجوفى عن طريق الآبار والمجارى الجوفية . وأهم هذه الموارد عند جبل عرفات ، ويصل إلى مكة بمجرى جوفى عليه آبار مفتوحة فى أكثر من مكان فى مكة .

وقد يسقط على مكة المطر مرة أو مرتين فى العام وهو من النوع المدارى المفاجئ العنيف مما يؤدى إلى أضرار كثيرة . والمسجد الحرام أشد تعرضا لهذه الأخطار لانخفاضه ، مما دعا إلى اتخاذ إجراءات وقائية لحمايته وصيانته ، وسجل الأدب العربى ظاهرة انخفاض الوادى وتعرضه للسيول ، من ذلك قول أبى طالب :

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم لمفضى السيول من إساف ونائل(٧)

ويضاعف من تأثير الحرارة ، إحاطة الجبال بمكة بسفوحها العارية فتكتسب فى الجو الصافى حرارة تعكسها أو تختزنها ثم تشعها ، ولا تكاد تجد الرياح منفذا إلى بطن الوادى فيصبح الجو راكدا مرهقا .

وانعكس هذا الجفاف على ظاهرات البيئة الطبيعية والبشرية الأخرى، فقل فيها النبات الطبيعى .

الملامح البشرية :

من المنتظر إذن ألا تكون الزراعة أساسا للحياة الاقتصادية فى مكة ، وأن تستفيد – فى نفس الوقت – من موقعها المتوسط على محور الواحات الممتد بين اليمن والشام وبين البحر الأحمر ورأس الخليج العربى . وأن تنظم رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة ، ورحلة الصيف إلى الشام وفارس . وكانت قوافل قريش كبيرة ، فالقافلة المكية التى حاول المسلمون اعتراضها ، وأدت إلى غزوة بدر ، كانت مكونة من "ألف بعير فيها أموال عظام تقدر بخمسين ألف دينار"(٨) .

وكانت هذه القوافل فى تنظيمها مظهرا لتضامن قريش وتعاونها الاقتصادى : ففى تلك القافلة ، "لم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا إلا بعث بـــه فـــى العير"[٩] .

وكان لهذا التضامن الاقتصادى أساسه الاجتماعى والدينى ، فإحساس قـــريش بأنهم أهل الحرم ، واعتزازهم بأنفسهم دفعهم إلى تدعيم نشاطهم الاقتــصادى ليكفلـــوا لأنفسهم مورد رزق منتظم ، وليتمكنوا من القيام بالأعباء التى يفرضها عليهم وضعهم الدينى فى سدانة البيت وسقيا الحجيج ورفادتهم .

وكانت قريش قبل تنظيم تجارتها بين الشام واليمن ، إذا أصاب واحدا منهـــا فقر خرج هو وعياله إلى موضع وضربوا على أنفسهم خباء حتى يموتوا ، يفعل هـــذا ولا يستجدى الناس ! حتى جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه وأنكر هذا الـــذى يفعله بعض قريش ، ووجههم إلى تنظيم روابطهم التجارية مع الـــشمال والجنـــوب ، شتاء إلى اليمن وصيفا إلى الشام ، فما ربح الغنى قسمه بينه وبين الفقير حتـــى كـــان غنيهم كفقيرهم .

وجاء الإسلام وهم على ذلك ، فلم يكن فى العرب بنو أب أكثر مالا ولا أعز من قريش ، وهذا معنى قول شاعرهم فيهم :

والخـــــالطون فقيـــــرهم بغنـــــيهم حتـــى يكـــون غنـــيهم كالكـــافى[١٠]

ولما كانت مكة حرما آمنا ، لم تكن قريش فى حاجة إلى أن تخططها علـــى أساس دفاعى كما حدث فى بقية الواحات الممتدة بين اليمن والشام ، ولم تظهـــر أيـــة حاجة إلى بناء أسوار تحيط بها أو حصون يأوى إليها سكانها عند التهديد بأى خطر ، أو أبواب ضخمة تتحكم فى الوافدين إليها والصادرين عنها.

ومن هذه الناحية كان لتخطيط مكة طابعه الخاص المعتمد على قداسة البيـــت الحرام والمركز الدينى المرموق لأهل الحرم فى الجزيرة العربية .

وقد عنى الجغرافيون العرب بوصف مكة على عهد النبى ﷺ : كان الحرم مركز الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية وتحيط به منازل قريش مقسمة على أساس النسب . ويهمنا منها شعب بنى هاشم – رهط النبى – إلى الشمال الشرقى من الحرم . وبهذا كان أقرب إلى المعلاة . وكانت المنازل تبنى على سفوح المرتفعات المشرفة على الوادى وشعابها .

وكانت لقريش دار ندوة ويجتمع فيها شيوخهم يتدارسون أمرهم يجمعون على الرأى قبل أن يبرموه . ورغم ما كان بين بطون قريش من تنافس إلا أن وحدة القبيلة ومنزلتها الكبيرة بين العرب كانت السمة الغالبة التى تحتفى فى طياتها هذه المنافسات الداخلية .

أما من الناحية الدينية فكانت قريش تجتهد فى أمر دينها ، ولهذا أطلق عليهم إسم "الحمس" أى المتحمسون والمتشددون فى أمر الدين . واعتبروا من الحمس بعض القبائل التى وجدوا فيها الإقبال على الشعائر الدينية فى الجاهلية حتى أنهم كانوا لا يطوفون حول البيت فى ثياب عصوا الله فيها .

فالقبيلة إذن كانت وحدة متماسكة لها ميراثها التاريخى القديم ، بأساسه الدينى ومظاهره فى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية ومنزلتهم بين العرب ، وحياتهم القائمة على التجارة وخدمة البيت الحرام .

وإذا كان من طبيعة العربى الحنين إلى منازله ، وكان من تقاليدهم فى أشعارهم أن يذكروا فيها الديار والأطلال، فإن القرشى ساكن مكة – حرم الله – كان أشد حنينا إلى موطنه الذى يضم هذا الميراث الممتد فى أعماق التاريخ وتدين به العرب . وكان يحس أن مكة محور الحياة العربية بنظام الحج والتجارة وما يرتبط بهما من أشهر حُرُم وزعامة روحية واقتصادية واجتماعية.

على هذا نستطيع أن ندرك أن الهجرة لم تكن مجرد تغيير موطن بموطن ، أو أن ارتباط النبى والصحابة بمكة كان ارتباطا لا يصل إلى أعماق نفوسهم . ولقد

كانت فيهم العاطفة الدافقة نحو هذه البيئة ، بل كانوا أشد أهل مكة إحساسا بمنزلة مكة الحقيقة ، والدور الذى ينبغى أن تقوم به فى الحياة العربية فى ظل الإسلام .

التفاعل بين الإسلام وقريش :

وعندما أرسل الله رسوله محمدا ، دعا قومه إلى دين لله ، وكان من المستجيبين له الغنى كأبى بكر ، وعبد الرحمن بن عوف ، والفقير كبلال بن رباح وكان حبشيا ، والصبى كعلىّ بن أبى طالب ، والمرأة كخديجة وسمية من آل ياسر ، والرومى كصهيب . فالقول بأن الاستجابة للإسلام كانت على أساس طبقى أو عصبية قبلية أو جنسية قول مردود ، وإنما كان المسلمون يمثلون – من أول الأمر – نماذج من كل قطاعات المجتمع المكى .

ورأت قريش فى هذا الأمر الجديد ما يهدد وضعها الدينى ومنزلتها الاقتصادية ووحدتها الاجتماعية : رأت فيه ثورة كاملة على النظام المستقر الذى عاشت به وتزعمته ، ومن هنا جاءت المحاربة العنيفة للإسلام . ومع أن هذه المحاربة شملت جوانب الحياة المادية والمعنوية وألجأت المسلمين إلى الهجرة إلى الحبشة مرتين ، إلا أنها لم تصل إلى حد التآمر على قتل النبى والتخلص منه إلا بعد موت عمه أبى طالب وزوجه خديجة ، وعودته من الطائف دون أن تستجيب له ثقيف . وهذا التآمر مع خطره ، يمثل لنا صورة من نظام الشورى عند قريش ، وكيف أن هذا الأمر كان عندها أكبر من أن ينفرد به بيت أو قبيلة .

وعندما ضاقت مكة بالرسول واشتد عليه أذى قريش أخذ يعرض نفسه على القبائل فى موسم الحج ، ولقيه نفر من الخزرج – سكان المدينة – فآمنوا به ، وعادوا إليه فى العام التالى مع نفر من قومهم ، وتعاهدوا مع النبى فى منى على أن يمنعوه بما يمنعون منه نساءهم وأموالهم . وقصة بيعة العقبة وما دار فيها ، وما لقيه الرسول وصحبه فى مكة – من قبل – مفصلة فى كتب السيرة فلا حاجة إلى الوقوف عندها ، وإنما الذى سنعنى به – بعد دراسة مكة طبيعيا وبشريا – أن ندرس بيئة المدينة .

٢-المدينة

الملامح الطبيعية :

تبعد المدينة عن ساحل البحر الأحمر نحو ١٦٠ كيلو مترًا ، وعن مكـة – فى خط مستقيم – نحو ٣٣٥ كيلو متراً . وتشغل جزءا منخفضا من سـهل مرتفـع ، ومستواها نحو ٧٠٠ متر ، وتحيط بها التلال من ثلاث جهات ، أما الجنـوب فـأكثر استواءً وإن كانت به بعض التلال .

وتقع المدينة بين حَرّة راقم إلى الشرق وحرة الوبرة إلى الغرب ، والعـرب تطلق لفظ الحرة على التكوينات البركانية ، وأحيانًا يسمونها اللابة . وإلى شمالها جبل أحد ، ومن ورائه جبل ثور – الحد الشمالى لحرم المدينة – وإلى الجنوب جبل عيـر – حدها الجنوبى . وهذان الحدان الشمالى والجنوبى يوضحهما الحـديث الـشريف : "المدينة حرام ما بين عير إلى ثور"[١١] . أما الحدان الشرقى والغربى وهما الحرتان ، فجاء ذكرهما فى حديث آخر : "اللهم إنى حرمت ما بين لا بتيها كما حـرم إبـراهيم خليلك"[١٢] .

والانحدار العام للمدينة نحو الشمال الغربى . وينحدر فى حـرة واقـم وادى بطحان ومذينيب ويلتقى بهما وادى رانوناء منحدرا من جبل عير، وتتجه هذه الأودية نحو الشمال الغربى ، ويلتقى بها وادى قناة منحدرا من الشرق ، ثم تنتهى إلـى وادى العقيق الذى يخترق حرة الوبرة مقبلا فى الجنوب ويتابع اتجاهه شمالا . وأطلق عليه اسم العقيق لأنه "عق فى الحرة" أى شق وقطع[١٣]، ويذكر ياقوت : أن العقيـق اسـم لكل مسيل شقه السيل فأنهره ووسعه ، وفى الجزيرة العربية أكثر من واد يحمل اسـم العقيق ، ووادى العقيق – فى المدينة – أشهر أوديتها وأهمها ، وتتبعه إحدى الطـرق المقبلة من مكة .

ويطلق على الأجزاء المرتفعة فى الجنوب الشرقى العوالى ، أو عالية المدينة وعلى الجزء الشمالى سافلتها ، ويتخذ انحدار المدينة – بهذا – عكس الاتجـاه الـذى يأخذه الانحدار العام لمكة .

وموارد المياه فى المدينة متوفرة ، وبخاصة على طول الأودية المنحدرة فيها أو بالقرب منها وهى ذات نظام شجرى يتجمع فى وادى العقيق .

وليس فى المدينة الجفاف الشديد الذى رأيناه فى مكة، وإنما ترتفع رطوبتها – نسبيًا – لوفرة مياهها .

وللمدينة عدة مداخل أهمها :

١-طريق قباء وهو الموصل إلى مكة ويتبع وادى العقيق .

٢-الطريق الغربى إلى ينبع .

٣-طريق نجد مخترقا حرة راقم .

٤-طريق الشام المتجه شمالا .

٥-وهناك طريق آخر أقل أهمية وهو الموصل إلى جبل أحد ويقع إلى الشرق من طريق الشام [١٥] .

ويهمنا هذه الدراسة طريق نجد وطريق قباء .

الملامح البشرية :

كانت المدينة قبل الهجرة تسمى يثرب . وسجل الله تعالى هذا الاسم لها فى قوله تعالى عن غزوة الأحزاب : ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ [١٦] ووردت بهذا الاسم فى النقوش السبئية وعند الجغرافيين القدماء كبطليموس[١٧] . وتقع على طريق التوابل الذى يربط اليمن بالشام . واستطاع سكانها أن يستفيدوا من موارد مائها وجودة تربتها فجعلوا منها واحدة زراعية تشتهر بنخيلها وبساتينها .

وإذا كانت مكة قد تمتعت بأنها حرم الله من أقدم عصور الحياة فيها فإن المدينة لم تتمتع بهذا التحريم إلا بعد هجرة الرسول إليها . وهو تحريم لا يدين به غير

المسلمين ، من أجل ذلك كان على المدينة قبل الإسلام وفى عهد النبى قبل إسلام مكة أن تحمى نفسها بنفسها . وانعكس هذا على تخطيطها ونظام مبانيها .

والتكوين القبلى للمدينة – قبل الإسلام – يختلف عن مكة : فقد سكنتها قبائل من اليهود : من بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة . وتذكر المؤلفات العربية أكثر من سبب لهجرة اليهود إلى المدينة واستقرارهم فيها وفى غيرها من الواحات كفدك وتيماء وخيبر فى وادى القرى شمال المدينة(١٨) .

وعندما هاجر عرب الجنوب بعد تحطم سد مأرب واشتداد الجفاف فى الجنوب ، خرج الأوس والخزرج من مواطنهم الجنوبية واتجهوا شمالا حتى استقروا فى المدينة مع اليهود . من أجل ذلك لم يكن فى المدينة التضامن والتماسك الاجتماعى الذى رأيناه فى مكة ، وإنما كان هناك فرقة من أهم مظاهرها ما كان بين العرب واليهود ، ثم ما بين الأوس والخزرج أنفسهم . وكانت السيادة – أول الأمر – فى المدينة لليهود . وقامت بينهم حرب انتهت بانتصار الأوس والخزرج وصاروا أعز أهل المدينة . واتخذوا القصور والأموال والحصون(١٩) . وكانت بينهم حروب فى الجاهلية ، ورجوا عندما لقوا رسول الله فى موسم الجمع أن يجمعهم على كلمة واحدة.

وتخطيط المدينة يختلف عن تخطيط مكة : ففى المدينة تنتشر الحصون والآطام(٢٠). وكان منها – عند الهجرة – حصن كعب بين الأشرف سيد بنى النضير– فى الجنوب الشرقى من المدينة على حرة واقم عند أطراف وادى مذينيب . وأطم الضحيان فى الجنوب الغربى . ولا تزال آثارهما باقية . أما بقية الحصون التى ذكرها الجغرافيون والمؤرخون العرب فى المدينة فقد درست معالمها(٢١) . وكان لكل قسم من أقسام الأوس والخزرج منازلهم فى عالية المدينة أو سافلتها ولهم حصونهم التى يمتنعون فيها عند الحرب أو الخطر. وتعتمد هذه الحصون على آبارها الخاصة لتوفير الماء فى الظروف العادية ووقت الحرب ، واستفاد أهلها من توفر الماء الجوفى فتعددت الحصون والآطام وكثرت فى المدينة الدور والبساتين(٢٢) . إلا أنها مع هذا الغنى الاقتصادى لم تجتمع على رجل واحد ، وامتصت الحروب والمنازعات

الداخلية جانبا من ثروتها . واليهود فيها كانوا يعتبرون أنفسهم أهل كتاب وأنهم شعب الله المختار ويفخرون بذلك على العرب ، وهؤلاء لا ينسون مكر اليهود بهم وعدوانهم عليهم ، فأخذوا يدعمون أنفسهم اقتصاديا ويبنون الحصون ويجمعون السلاح ، وهم – فيما بينهم – غير مجتمعين على رأى موحد ، وإن قرب بينهم خطر اليهود المستقر فى المدينة ، يحالفونهم أحيانا ويحاربونهم أحيانا .

والأوس والخزرج أزديون من عرب الجنوب ، ومع أن العرب يدينون لقريش بالزعامة ، إلا أن وضع الأوس والخزرج فى المدينة أعطاهم حرية أوسع فى اختيار موقفهم من الإسلام . "وكانوا يسمعون من بنى قريظة والنضير – يهود المدينة – أن نبيا مبعوث فى هذا الزمان ، ويتوعدون الأوس والخزرج به إذا حاربوهم فيقولون : إنا سنقتلكم معه قتل عاد وإرم . وكانت الأوس والخزرج تحج البيت فيمن يحجه من العرب ، فلما رأوا رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الله رأوا أمارات الصدق عليه لائحة ، فقالوا : والله هذا الذى توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم إليه"(٢٣) . وكان كل من حضر بيعة العقبة الأولى من الخزرج . وفى العام التالى حضرها نفر من الخزرج والأوس . ثم كانت البيعة الأخيرة فى العام الثالث وهى التى تحددت فيها شروط الهجرة وأخذ مسلمو مكة بعد هذا فى الهجرة إلى المدينة بعد أن أذن لهم رسول الله خلال العام التالى، وكانوا يتعاونون فى أمر السفر حتى لم يبق بمكة إلا رسول الله ، وأبوبكر وعلى بن أبى طالب ، وإلا من أعتقله المشركون كرها، فحذرت قريش خروج رسول الله ﷺ وتشاوروا بدار الندوة ثم اتفقوا على قتله ، يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، وبهذا تحدد وقت الهجرة بعد أن تحدد هدفها.

٣ –مراحل الطريق

المجال الجغرافى :

كانت الهجرة فى صيف سنة ٦٢٢ ميلادية ، ومع أن الجفاف والحرارة هما الطابعان الغالبان للجزيرة العربية ، إلا أن العربى كان يفضل وقت اعتدال الجو إذا ترك له الخيار فى أمره . ويذكر الله تعالى هذا العامل المناخى كحجة حاول بها بعض

أهل المدينة أن يبرروا بها عدم خروجهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فيقول : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٢٣) .

وللطريق من مكة إلى المدينة مميزات جغرافية لها ارتباطها بالتقسيم التقليدى الذى درج عليه العرب لجزيرتهم . فقد كانوا يقسمونها إلى تهامة والحجاز – وفيهـا كان المجال الجغرافى للهجرة – واليمن ونجد والعروض . وأطلقوا عليها هذا الاسم الأخير لاعتراضها الطريق بين اليمن وفارس .

وتهامه اصطلاح "جيو موفولوجى" ومناخى : فالتهمة هى الأرض المتصوبة إلى البحر ، والتهم شدة الحر وركود الريح(٢٥) ، أما الحجاز فهو ما حجز بين تهامة والعروض ، وربط بعض الكتاب بين مدلول الحجاز وبين التكوينات البركانية هناك ، قال الأصمعى : إذا عرضت لك الحرار وأنت منجد فتلك الحجاز(٢٦) .

وتعرضت هذه المنطقة – تهامه والحجاز – لحركات أرضية أدت إلى ارتفاع جبال الحجاز بانحدارها الشديد نحو البحر ، والتدريجى نحو الداخل ويتباين ارتفاع هذه السلسلة الممتدة على طول البحر من أقصى شماله إلى أقصى جنوبه حيث تبلغ فى اليمن أكثر من ثلاثة آلاف متر ، أما فى الحجاز فتصل فى بعض الأجزاء إلى أكثر من ألف متر ، وتتكون جبال الحجاز من صخور جرانيتية تغطيها فى بعض الأجزاء تكوينات رسوبية من الحجر الجيرى وتكوينات حديثة من الطفح البركانى هى التى يطلق عليها الحرار(٢٧) . وتنحدر الأودية منها فى اتجاهين : نحو السهلى الساحلى وهى هنا قصيرة نسبيا وشديدة الانحدار، ونحو الداخل حيث الانحدار التدريجى الذى يجعل الأودية أكثر طولا . وتفيض هذه الأودية بالماء عند سقوط المطر القليل المفاجىء . ومعدلات الحرارة مرتفعة والمدى اليومى كبير ، ويضاعف سطوع الشمس من تأثيرها . والجنوب يختلف فى هذا عن الشمال : فجبال الجنوب عامرة نسبيا تتمتع بمطر أوفر ، وهى بهذا مناطق استقرار تختلف عن جبال الشمال الجافة الممتدة من رأس خليج العقبة حتى خط عرض ٢٠° شمالا تقريبا ، والسهل

الساحلي جاف أيضا ومتشابه في تهامه ومدين ، وإن امتاز فى تهامة بالموقع المتوسط الذى يجعل اتصاله سهلا بقلب الجزيرة العربية .

الطرق الرئيسية بين مكة والمدينة :

ولهذه الظاهرات الطبيعية تأثيرها على طرق الاتصال بين أجزاء الجزيرة العربة ، ويهمنا منها الطرق فى الحجاز وتهامة ، وبخاصة ما بين مكة والمدينة فهناك طريق الساحل الذى يسير فى تهامة ، ويستطيع سالكوه أن يعتمدوا على موارد المياه فى بطون الأودية المنحدرة من الحافة الغربية لجبال الحجاز نحو البحر الأحمر ، ومن قديم عرف العرب هذا الطريق وسلكته قوافلهم . وعند ما التقى المسلمون بقريش في غزوة بدر كان اللقاء فى السهل الساحلى ، وإن دارت الغزوة عند أطراف الجبال، وكانت قوافل قريش تسلك هذا الطريق إذا أرادت أن تتجنب المرور بالمدينة .

والطريق الرئيسى بين مكة والمدينة ما زال يلتزم السهل الساحلى ما بين مكة حتى بدر ، ثم ينحرف بعد هذا إلى الشمال الشرقى مخترقا الجبال ليدخل المدينة من جنوبها الغربى ، وظل يطلق على هذا الطريق فترة طويلة اسم "والدرب السلطانى" .

وقد عنى الجغرافيون العرب بوصف طرق الجزيرة عامة ، وطرق الحج بوجه خاص وبينوا منازلها ووصفوا قراها ومياهها ويمكن أن نجد نموذجا لذلك كله فيما كتبه الهمدانى(٢٨) . كما عنى به الرحالة الغربيون . ولعل أمتع وصف لهذا الطريق ما كتبه بركاردت فى رحلته إلى الجزيرة العربية وإن كان وصفه لمكه أوفى وأدق من وصف الطريق ووصف المدينة . ويرجع هذا إلى تدهور حالته الصحية بعد مبارحته مكه فى طريقه إلى المدينة(٢٩) .

أما الطريق الثانى فيطلق عليه الدرب الشرقى أو طريق نجد ، ويتبع هذا الطريق الحضيض الشرقى لحرة رهط وهى أكبر الحرار بين مكه والمدينة. وتبدأ هذه الحرة شمال مكة بنحو ثلاثين كيلو مترا، ثم يظل الطفح البركانى مستمرا حتى المدينة وإن حملت الحرار أكثر من اسم . وإلى الشرق من حرة رهط تنخفض الأرض ثم تعود إلى الارتفاع مرة أخرى فى حرة الكشب وتنحدر من الحرتين إلى الأرض

المنخفضة بينهما أودية ذات صرف داخلي . وإلى جنوب حرة الكشب تنخفض الأرض ثم تعود إلى الارتفاع فى حرار حضن والنواصف والبقوم(٣٠) .

على هذا يمكن أن نميز فى أرض الحجاز – بمدلولها الواسع – بين السهل الساحلى ثم الجبال الساحلية ثم تنخفض الأرض مرة أخرى لتعود إلى الارتفاع فى الجبال والحرار الداخلية وتنحدر حافاتها الشرقية إلى نجد(٣١) . وتتبع القوافل إما طريق الساحل أو الطريق الشرقى بين الحرار ، وهذا الطريق أو الدرب الشرقى عنى بوصفه – من الرحالة الغربيين – برتون ، وقد سلكه من المدينة إلى مكة مكتفيا بوصف بركاردت لطريق الساحل(٣٢) .

وقد قامت المساحة المصرية بدراسة مفصلة للطريق الساحلى بين مكة والمدينة ، وعنيت فى الخرائط التى نشرتها عنه بتسجيل المناسيب والأودية والجبال والقرى(٣٣) ، كما نشرت الحكومة السعودية بالتعاون مع شركة الزيت العربية الأمريكية "أرامكو" ومصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية مجموعة من الخرائط عن الجزيرة العربية من أهمها خريطة شاملة للجزيرة مقياس ١ : ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ (٣٤) ومجموعة من الخرائط المفصلة مقياس .

١ : ٥٠٠٫٠٠٠ بلغ عددها إحدى وعشرين خريطة يتصل منها بموضوع هذه الدراسة خريطة الحجاز الجنوبى – بين خط عرض ٢٠° شمالا إلى ٢٤° شمالا وتشمل معظم المنطقة بين مكة والمدينة (٣٥) وخريطة الحجاز الشمالى الشرقى إلى خط عرض ٢٨° شمالا وتشمل منطقة المدينة وما وراءها شمالا إلى النفوذ الكبير (٣٦). ومع التفصيل الدقيق لهذه الخرائط ووفرة البيانات المسجلة عليها ، إلا أنها لا تعنى عناية أساسية بتوقيع المعالم الجغرافية والأماكن التى ارتبطت بأحداث التاريخ الإسلامى ، إلا ما كان له قيمة بشرية باقية . ومن ثم تبقى ثغرات واسعة فى طريق الدراسة تحتاج إلى دراسات ميدانية مفصلة توقع – على خرائط – هذه المعالم التى ذكرها الجغرافيون العرب فيما خلفوه من مؤلفات ومعاجم . وبدون هذه الخرائط سيظل الأساس الجغرافى فى دراسة التاريخ الإسلامى غير عميق ، وستظل "فلسفة المكان" غير واضحة فى تفسير أحداث هذا التاريخ .

ولنعرض الآن مراحل طريق الهجرة .

من صلة إلى الغار :

رأينا كيف أن مكة لها ثلاثة مداخل رئيسية : طريق الغرب ، وطريق المعلاة الشمالى ، وطريق المسفلة الجنوبى نحو اليمن ، ويبدو لأول وهلة أن الطريق الأول والثانى أقرب إلى المدينة من الطريق الثالث . ومع هذا فقد كان خروج النبى ﷺ للهجرة عن طريق المسفلة . أى أنه اتجه جنوبا ليتابع بعد هذا سيره شمالا . وغار ثور الذى لجأ إليه النبى يقع على بعد خمسة كيلو مترات ونصف إلى جنوب الجنوب الشرقى من مكة ، وارتفاعه ٧٥٩ مترا فوق سطح البحر [٣٧] ، والطريق إلى الغار شاق ، حتى أن النبى ﷺ لم يصل إلا بعد أن دميت قدماه[٣٨] . وكان من المنتظر إذن أن يبدأ البحث عن النبى فى الأجزاء الشمالية والغربية من مكة وهى المؤدية إلى المدينة ، وألا يتبادر إلى الذهن أن يسلك النبى طريق اليمن بينما المدينة هدفه .

بقى النبى ﷺ فى الغار ثلاثة أيام ومعه أبو بكر . وفى الغار كان لابد له من تنظيم أمرين أساسيين :

١- أن يكون على صلة بمجرى الحوادث فى مكة وما تريد قريش القيام به ويرتبط بهذا تدبير حصوله من مكة على طعامه وشرابه وزاده عند السفر .

٢- أن يكون طريق الهجرة أمامه مفتوحًا إلى المدينة .

أما عن الأمر الأول فكان عبد الله بن أبى بكر يبيت عندهما فى الغار إذا أظلم الليل ثم يعود فى الفجر إلى قريش فيظن أهل مكة أنه كان معهم ويمضى نهاره بينهم يسمع ما يقولون ويرجع إلى الغار ليخبر النبى ﷺ بما كان من أمر قريش . وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بالطعام . أما آثار الأقدام التى يتركها سير أسماء وعبد الله فتكفل بها عامر بن أبى فهيرة مولى أبى بكر. وكان يروح على الغار بإغنامه بعد أن يرعى نهارًا فيأخذ النبى ﷺ وأبو بكر ما شاءا من ألبانها ولحومها ثم يتابع سيره بالقطيع دون أن يترك وراءه أثرًا ينم على سير إنسان .

وأما عن الشطر الثانى فكانت لأبى بكر راحلتان دفعهما إلى عبد الله ابن أريقط وكان دليلا ماهرا ليأتيهما بهما عندما ينقطع الرصد والبحث عن النبى وصاحبه.

ورغم هذا الاحتياط استطاع قصاصو الأثر أن يصلوا إلى فم الغار بعد ثلاثة أمضوها فى البحث ولكنهم لم يتابعوا البحث فيه . وفى هذا نزل قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣٩) .

على الساحل :

خرج النبى ﷺ من الغار مع أبى بكر بعد أن جاءهما عبد الله بن أريقط واتجه بهما غربا إلى طريق الساحل (٤٠) . وقد سبق القول بانحدار أودية من السفوح العربية للجبال نحو البحر ، وتمثل هذه الأودية معالم الطريق الرئيسية فى هذه المنطقة . ثم اتجه بعد هذا شمالا متجنبا مناطق الاستقرار فى هذه النطاق ، مستفيدا فى نفس الوقت من موارد المياه الموجودة ، وإن مر فى طريقه ببعض الرعاة أو المضارب الصغيرة، وتابع سبره شمالا ماراً بالطريق أسفل عسفان وهى بلدة ما زالت قائمة حتى الآن على واد يحمل مجراه الأعلى – شرق عسفان – اسم وادى فايده ، ومجراه الأدنى – غرب عسفان – اسم وادى غولة وينتهى دون البحر شمال بلدة دهبان .

ومر بعد ذلك بأمج ولم يرد على الخرائط الحديثة وهو واد يأخذه من حرة بنى سليم وينتهى إلى البحر (٤١) ثم أجاز قديدًا ، وهى الآن قرية صغيرة تقع على وادى ستارة الذى ينبع من حرة رهط ويتجه إلى البحر نحو الجنوب الغربى ، ويذكر البكرى أنها "قرية جامعة مذكورة فى رسم الفرع وفى رسم العقيق وهى كثيرة المياة والبساتين(٤٢) "ثم سلك الخرار ، وقد ذكر ياقوت أنه موضع بالحجاز يقال إنه قرب الجحفة(٤٣) قرب رابغ الحالية ، وذكر البكرى أنه واد بالحجاز يصب على الجحفة(٤٤)،

وتحمل هذا الاسم عيون وغدران أخرى ليست بين مكة المدينة ، ولم يرد هذا الوادى على الخرائط الحديثة وإن ذكر الجغرافيون القدماء احتمال وقوعها قرب الجحفة .

هذا هو القطاع الساحلى من طريق الهجرة ، ويبلغ امتداده – فى خط مستقيم نحو ١٤٠ ك٠م ، ولم يتبع فيه النبى المعالم المطروقة ، وإنما كان يتجنبها ليكون فى مأمن ممن يحاول أن يقفو أثره[٤٥] .

من الساحل إلى المدينة :

وعند الجحفة سلك النبى طريق الخرار ، وهو غير الطريق المعتاد بين مكة والمدينة ، وهو الذى يتابع السهل الساحلى شمال الجحفة حتى بدر ، وعندها سلك المنطقة الجبلية متجهًا إلى الشمال الشرقى حتى المدينة .

فكما أن النبى ﷺ تجنب الجادة المطروقة فى السهل الساحلى، تجنبها كذلك عند سلوكه الجزء الجبلى من الطريق ، وتذكر كتب السير الثنيات والعقبات والأودية التى مر بها ، ويتبين منها أنه حتى مع اختياره هذا الطريق فإنه كان يتجنب معالمه المعروفة اختصارًا للوقت وزيادة فى الحيطة ، حتى إنه سلك فيه واديًا كان به قاطعا طريق – رغم علمه بذلك – وأسلما على يديه[٤٦] واجتاز ثنيه ركوبة عند العرج ، وهى عقبة شاقة شديدة المرتقى يضرب بها المثل[٤٧] .

وبعد أن عبر عدة أودية هبط بهما الدليل العرج، ثم هبط وادى العقيق وهذا الوادى – لأهميته – تسجله الخرائط الحديثة ، أما المعالم التى سلكها الرسول بين الساحل ووادى العقيق فلا نجد لها أثرًا فى هذه الخرائط .

وقد تتبع النبى ﷺ وادى العقيق إلى قباء ، وهى قرية صغيرة إلى جنوب المدينة ، وأقام بها أربعة أيام ، وأسس فيها مسجدًا ، ولحق به فيها على بن أبى طالب بعد أن رد الودائع ، ثم وصل الرسول المدينة فى ١٦ من ربيع الأول يوم الجمعة وخطب الناس بها لأول مرة .

الخاتمة

يمكن أن نلخص هذا العرض فى النقاط الآتية :

١- أن المجال الجغرافى للهجرة كان عربيًا .

٢- مع وقوع كل من مكة والمدينة على محور الواحات الممتد من اليمن إلى الشام – على سفوح مرتفعات الحجاز – إلا أن اقتصاد مكة كان دينيا وتجاريًا ، بينما كان اقتصاد المدينة زراعيًا تساهم فيه التجارة بنصيب محدود.

٣- أن ظهور الإسلام فى قريش أول الأمر أدى إلى صراع بينه وبينها اضطر معه الرسول وصحبه إلى الهجرة ثم فتح مكة . وبقيت فى قريش الزعامة الدينية بعد إسلامها .

٤- أن التكوين السكانى للمدينة أعدها – عقليا – لقبول الإسلام وإن لم يعطها الفرصة لتجتمع على رأى موحد كما حدث فى مكة . من أجل ذلك كان لتعدد القبائل والأديان أثره فى إعطاء مجال أوسع يعمل فيه الإسلام . ونستطيع أن نقارن فى هذا أيضا بين المدينة والطائف ، فعندما ذهب النبى ﷺ إليها لقيه زعماء ثقيف ولم يقبلوا منه الإسلام . وكانوا أول أمرهم على رأى واحد حتى استقر الإسلام فى المدينة . ولم تدن ثقيف – كقبيلة للإسلام – إلا بعد فتح مكة وغزوة حنين .

وهذا التكوين السكانى للمدينة له ارتباطه بموقعها على محور الواحات بين اليمن والشام ، واستيطان اليهود فى بعض واحاته وبخاصة فى المدينة ووادى القرى، وله ارتباطه أيضًا بدورات الجفاف فى الجزيرة العربية وهى التى دفعت عرب الجنوب إلى الهجرة منهم فاستوطن الأوس والخزرج المدينة . وكان لهم – بحكم ظروف البيئة الطبيعية – اقتصادهم الزراعى المتميز عن الاقتصاد القرشى ، وحريتهم فى اختيار موقفهم من الدين الجديد ، وعدم إجماعهم على زعامة واحدة قبل الإسلام ورجوا أن يجمعهم الله على رسوله .

٥- ومع هذا كله فإن المهاجرين لم ينسوا مكة – حرم الله – والنبى عندما خرج منها نظر إليها مناجيا : "أما والله إنى لأخرج منك وإنى لأعلم أنك أحب البلاد إلى الله ، وأكرمها على الله ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت"[٤٨] .

وبقى هذا الحنين إليها فى نفوس المهاجرين وهم فى المدينة ، يتغنون بها فى أشعارهم ، ويذكرونها فى مجالسهم . وكان لاختلاف مناخها عن مناخها عن مناخ مكة الجاف أثره فى صحة نفر من المهاجرين[٤٩] . ومع هذا بقوا فى دار الهجرة بعد فتح مكة .

٦-أن الطريق الذى سلكه الرسول فى هجرته بدأ باتجاه جنوبى مع أن المدينة فى الشمال ، ثم اختبأ فى الغار وفى هذا ما يدل على معرفة سابقة بما حول مكة من جبال وغيران ، ثم تتبع طريق الساحل غير سالك منازله المطروقة، ثم سلك الخرار متجها إلى الشمال الشرقى متتبعا طرقا وعرة – يضرب المثل بوعورتها – حتى هبط العرج ، ثم وادى العقيق إلى قباء ، ثم المدينة واتخذها دار هجرته وقاعدة لنشر الإسلام .

هوامش البحث :

(١) الأخشب من الجبال الخشن العظيم . والأخشبان جبلا مكة : انظر لسان العرب ١ : ٣٥٤-٣٥٥ . ط صادر وبيروت .

(٢) الأزرقى : أخبار مكة ٢:٢١٥ ط الماجدية بمكة المكرمة .

(٣) سورة البقرة ١٥٨ .

(٤) الأزرقى ٢ : ٢٣٦ .

(٥) الأزرقى : ٢ : ٢١٥-٢٤٥ . وفى هذه الصفحات يذكر المؤلف شعاب مكة وجبالها وثنياتها وبطونها ومتونها .

(٦) تعتمد هذه الخريطة على خريطة المساحة المصرية مقياس ١ : ١٠٠٫٠٠٠ عام ١٩٤٥ وخريطة مكة التى أرفقها الدكتور محمد حسين هيكل بكتابه فى منزل الوحى. ط النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٢ . وخريطة مكة التى أرفقها الدكتور محمد حميد الدين الحيدر أبادى بكتابه مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة أمام ص٣٥ القاهرة ١٩٥٨ ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٧) إساف ونائلة صنمان كانا – فى الجاهلية – على الصفا والمروة . وبينهما – أى الصفا والمروة – تنخفض الأرض فى بطن الوادى وإليه تجرى السيول .

انظر تفسير ابن كثير فى شرح قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ ١ : ١٩٨ – ط . التجارية .

(٨) المقريزى : امتاع الأسماع ١ : ٦٦ تحقيق وشرح محمود محمد شاكر ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٩) نفس المرجع والصفحة .

(١٠) الألوسى : بلوغ الأرب من أحوال العرب ٣:٢٨٦-٢٨٧ ط. الأهلية مصر .

(١١) ابن الديبع الشيبانى : تيسير الوصول ٣ : ٢٨٠ ط الحلبى .

(١٢) ياقوت : معجم البلدان ٥ :٨٤ ط. صادر وبيروت . ويقول النبى عليه الصلاة والسلام "أريت دار هجرتكم بسبخة ذات نخل بين لابتين" انظر ابن القيم : زاد المعاد ٢ : ١٤٤ ط أنصار السنه المحمديه .

(١٣) عبد القدوس الأنصارى : آثار المدينة المنورة ص١٥٧ . ط المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

(١٤) ياقوت : معجم البلدان ٤ : ١٣٨ .

(١٥) تعتمد هذه الخريطة على خريطة المدينة المنورة التى أصدرتها المساحة المصرية بمقياس رقم ١ : ١٠٠ر٠٠٠ عام ١٩٤٧ . والخريطه التى أرفقها الدكتور هيكل بكتابه فى منزل لوحى عن المدينة وخريطة الدكتور محمد حميد الدين الحيدر أبادى فى كتابه مجموعة الوثائق السياسية أمام ص٣٥ .

(١٦) سورة الأحزاب : ١٣ .

(١٧) فيليب حتى : تاريخ العرب ، الترجمة العربية لمبروك نافع ١ : ٢ ط١ العالم العربى، القاهرة .

(١٨) انظر مادة "مدينة يثرب" فى معجم البلدان لياقوت ٥ : ٨٤ .

(١٩) نفس المرجع ٥ : ٨٦ .

(٢٠) الأطم البناء المرتفع .

(٢١) عبد القدوس الأنصارى : آثار المدينة المنورة ص٤٢ ويصف المؤلف هذين الأثرين فى "قسم الحصون والألحام" من كتاب ص٤٢-٥٣ .

(٢٢) انظر فى وصف المدينة فى الجاهلية وصدر الإسلام : ياقوت فى معجم البلدان ٥ : ٨٢-٨٨ والألوسى فى بلوغ الأرب ١ :١٨٨-١٩١ .

(٢٣) المقريزى : إمتاع الإسماع ١ : ٣١ .

(٢٤) سورة التوبة : ٢٣ .

(٢٥) لسان العرب ١٢ : ٧٢ ، ٧٣ .

(٢٦) لسان العرب ١٢ : ٧٤ .

(٢٧) Blanchar, Asie Occidentale, ١٧٢, Geog. Universelle, Tome ٨, ١٩٢٩ .

Twitchell, D.S., Saudi Arabia, pp. ٩–١٥ London, ١٩٥٣ .

(٢٨) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، حققه محمد بن بليهد النجدى ط السعادة القاهرة ١٩٥٣ .

(٢٩) Burckhardt. I. L, Travels in Arabia, vol. ٢, pp. ٨٨–١٣٧, London, ١٨٢٩ ..

(٣٠) خريطة جزيرة العرب ١ : ٠٠٠ر٠٠٠ر٢ (المملكة العربية السعودية ومصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية ١٩٥٨) .

(٣١) United Kingdom, Geographical Section of the Intelligence Division, Naval Staff, Admirality : A hand book of Arabia, vol. l, p. ٩٧, (No. I. D. ١١٢٨) Oxf. Univ. Pree, ١٩١٦ .

ويراجع فى عرض تاريخ الرحلات فى الجزيرة العربية :

Kernan, R.H., The Unveiling of Arabia, London, ١٩٣٧.

(٣٢) Burton, Sir Richard, Personal Narrative of a Pilgrimage to AL-Madina and Meccah, vol, ٢ pp. ٥١–١٥٥, London, ١٨٩٣ .

(٣٣) هذه المجموعة من ثمانى خرائط للأقطار الحجازية بين مكة والمدينة مقياس ١ : ١٠٠٠٠٠ صدرت فيما بين عامى ١٩٤٥–١٩٤٧ وكانت عنايتها بطريق الحج الساحلى كما رسمت المساحة المصرية مجموعة أخرى من الخرائط المفصلة لمكة والمدينة .

(٣٤) صدرت عام ١٩٥٨ .

(٣٥) صدرت عام ١٩٥٨ بعنوان (إبحاث جيولوجية مختلفة) .

Miscellaneous Geological Investigations : Map I–٢١٠ B.

(٣٦) من نفس المجموعة صدرت هذه الخريطة عام ١٩٥٩ برقم Map I–٢٠٥. B .

(٣٧) انظر خريطة مكة ١ : ١٠٠٠٠٠ المساحة ١٩٤٨ .

(٣٨) يصف المقريزى وعورة الطريق بين مكة وغار ثور بقوله عن النبى ﷺ وأبى بكر: ومضيا إلـى غـار بجبل ثور ، فلم يصعدا الغار حتى قطرت قدما رسول الله ﷺ دما وعادت قدما أبى بكر كأنهما صفوان ، انظر أمتاع الأسماع ١ : ٤٠ والصفوان الصخر الأملس .

(٣٩) سورة التوبة : ٤٠ .

(٤٠) ذكرت كتب السير معالم طريق الهجرة وبينها اختلافات يسيرة فى بعض المعالم الصغيرة ، انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦ ، ٣٧ ، زاد المعاد لابن القيم ٢ : ١٣٧ – ١٤٢، أمتاع الاسماع للمقريــزى ١ : ٤١-٤٦ ومرجع شكل ٤) خرائط المساحة المصرية والمملكة العربية السعودية . تراجع الحواشى من ٣٣ إلى ٣٦ وما أورده ياقوت والهمدانى والبكرى من وصف لمعالم الطريق .

(٤١) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ١٧٠ .

(٤٢) البكرى : معجم ما استعجم ٣ : ١٠٥٤ نشر المعهد الخليفى للأبحاث المغربية . حققه مصطفى السقا . ط لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٤٩ .

(٤٣) معجم البلدان ٢:٥٣ .

(٤٤) البكرى : ٢ : ٤٩٢ . وقد اندثرت هذه القرية وكانت ميقات الإحرام لأهل الشام ومصر حين يقبلون للحج أو العمرة وأصبحت رابغ الآن ميقاتا .

(٤٥) ابن كثير : البداية والنهاية ٣ : ١٩٠ ط السعادة القاهرة ١٩٣٢م .

(٤٦) ابن كثير البداية والنهاية : ٣ : ١٩٥ .

(٤٧) ياقوت : معجم البلدان ٣ : ٦٤ ، ابن كثير البداية والنهاية ٣ : ١٩٥ (هامش) .

(٤٨) الأزرقى : أخبار مكة ٢ : ١٢٥ .

(٤٩) الأزرقى : أخبار مكة ٢ : ١٢٣-٢٤ .

* * *